امرأة صاحبي

تزوج صاحبي بامرأة يقال لها فدوى أو هكذا تسمي نفسها لان اسمها الحقيقي غزال لكنها لا تحبه لأنه ينبئ عن شيء لا تملك منه و لا ذرة فاختارت أن يناديها الناس بفدوى. لم يتزوجها لحب كما في قصص الأفلام و إنما فقط لمالها لذلك قلت امرأة و ليس زوجة لأن الزوجة هي التي تتفق معك داخليا و الامرأة مجرد كادر خارجي لا يتفق مع الود بتاتا. نصحته بأن لا يتزوجها لأني أعرفها قديما: امرأة لا تملك من الجمال و لا شيء فهي الوحش و ليست الجميلة كما في الفيلم المعروف. بسبب قبحها لم تكن تثير الرجال فاختارت أن تعمل واسطة جنسية بين الرجل و المرأة حيث توفر لهما السكن و الغذاء فأصبحت بذلك من الأثرياء.لكن صديقي لم يسمع لكلامي و اختار الاقتران بها ليملك مالا كثيرا حتى لو كان حراما لا يهم. صديقة امرأة صاحبي اسمها سلمى دائما أراهما معا و لا أعرف ما الذي يجمع بينهما فسلمى امرأة محجبة دائما قائمة بالصلوات و تحضر دروس يوم الجمعة بعد العصر التي يلقيها الحاج محمود في حين أن فدوى رغم قبحها في سفور دائم و دخول و خروج مستمر مع زبائنها. الشيء المقلق هنا أني وقعت في حب هذه الفتاة.كلما سمعت كلمة سلمى دق قلبي و رقص كياني و بدأ شعوري يتحرك حركة غير مريحة، كنت دائما أذهب إلى بيت صاحبي فؤاد ليس لأني أفتقده و لكن لأرى سلمى التي تظل عندهما كل يوم.

__ أهلا بك يا سيد سليم.يقول فؤاد.

لم أجبه لأني شارد في تفحص البيت و جنباته لعلي أطلع إلى سلمى

أعاد القول مرة أخرى: أهلا بك يا سيد سليم

الآن أجبته لأني لم أر لريح سلمى مسارا

ثم أردف قائلا: ما لك شارد هكذا على غير عادتك

لم أرد لأني أعرف إن قلت له ما بي سيجعلني سخرية في الحي لمدة شهر لأني معروف بتديني مذ صغري.

قبل أن نبدأ في الاسترسال بالكلام إذا هي سلمى داخلة على استحياء تنقب عن فدوى صديقتها المفضلة. بدون شعور مني وقفت واحمر وجهي و بدأت في التعرق لمحتها بناظري لكن يبدو أنها لم تعرني انتباها، و انصرفت. فجأة دخلت فدوى فما إن رأتني حتى بدأت في سخريتها المعتادة: أهلا بالشيخ سليم أجبتها كما أجيبها دائما أنا لست شيخا فتبدأ بوضع الماكياج مجددا و كأن تحذيري ليس له وزن. قالت: هل رأيتما سلمى؟ قلت بسرعة سبقت صاحبي: نعم كانت هنا منذ قليل تبحث عنك.__ آه يا للعار كان يجب أن أكون هنا لكن لا بأس سألحق بها. فور خروجها ودعت صديقي و لحقت بها لأعرف منزل سلمى.

— — —

أنا الآن واقف أمام بيتها أنتظر خروجها لألحق بها أين ما اتجهت. فعلا خرجت السيدة بلباسها الأنيق المحتشم تريد دار فدوى مجددا، لكن قبل أن تتجه لبغيتها مرت على الشيخ محمود تريد جوابا على سؤال لطالما حيرها و هو: لماذا الشر موجود؟ هذا السؤال خطر ببالها منذ مدة كبيرة منذ سنتين تقريبا عندما مرضت أمها السيدة حسنى بمرض الايدز و ماتت على إثر ذلك فبدأت تخطر ببالها مثل هذه الأسئلة الوجودية التي تحيرها و تجعل ليلها يقظان. لم يجبها الشيخ فورا و إنما قال لها أنه سيجعل هذا الموضوع في المحاضرة المقبلة يوم الجمعة، بدت متحمسة جدا أخيرا ستعرف السر وراء هذه المعضلة الكبيرة التي حيرتها لسنتين تقريبا. لكن للأسف لم يوف الشيخ بوعده فقد وجد الموضوع أكثر تركيبا مما ظنن. هو في العادة يحضر مواد دروسه يوما قبل الميعاد، لأنها تكون بسيطة و لا تتطلب مجهودا كبيرا لكن هذا السؤال فاق توقعاته: لماذا الشر موجود؟ اعتذر منها و طلب أن تذهب إلى أب غزال أو فدوى لأنه يحمل دكتوراه في الفلسفة و أخرى في الدراسات الإسلامية فهو الوحيد الذي في الإمكان أن يكون عنده الجواب. كان أبو فدوى إنسانا تقيا قل في الوجود نظيره و من الغريب و العجيب أن تكون بنته على مثل هذه الحالة. دائما ما كان الناس يعاتبونه: لماذا تترك ابنتك تعمل واسطة جنسية في حين أنك أبوها الصالح الشريف لكن كان دائما ما يقول لهم و هو متفائل: أن ابنته ستترك كل

ذلك و ستعود إنسانة صالحة كما وقع لفاطمة العدوية في الماضي على شكل ما تصوره لنا الأفلام

— — —

فعلا ذهبت سلمى إلى العم كريم أبي فدوى تسأله و تسائله عن هذا الموضوع الغامض فبدأ يبين لها و يوضح حتى اقتنعت في الأخير أن الله حكيم في كل تصرفاته و أننا يجب أن ندخل إليه من باب التسليم لأن عقولنا أصغر من أن تستوعب الله العلي و تصرفاته و مع ذلك أعطاها بعض الأدلة التقريبية لكي يطمئن قلبها و يسكن صخبها.

— — —

الآن أريد أن أوضح لكم: لماذا سلمى مقترنة تقريبا بفدوى و قليلا ما تفارقها؟ السبب هو أن والدة سلمى كانت قوادة كذلك و كانت من الحين للآخر تمارس الجنس مع زبائنها مما جعلها تمرض بالايدز و تموت.. و سلمى لا تريد أن يقع لفدوى مثل ما وقع لأمها لذلك تصاحبها و من حين لآخر تنصحها دون إلحاح لعلها تتوب و تعود عما تفعل.

2

ذهبت أنا و فؤاد إلى السينما لنشاهد فيلما كان متصدرا قائمة الأفلام الأكثر مشاهدة آنذاك لكنه لم يعجبني. لا أعرف لماذا لا تعجبني الأفلام الأكثر مشاهدة و الأفلام الحاصلة على جوائز الأوسكار و الكتب الحاصلة على نوبل. ألأني متميز عندي ذوقي الخاص أم لأني غبي لا يعرف كيف ينخرط داخل الشعور الجماعي. المهم أيا كان من هذه الأجوبة هو الصحيح فإني على يقين بأن حبي لسلمى نابع من قلب خافق صادق و لو كانت سلمى فيلما حاصلا على الأوسكار لأصبحت أحب أفلام الأوسكار و لو كانت كتابا حاصلا على نوبل لأصبحت أحب الكتب الحاصلة على نوبل لكن سلمى ليست هذا و لا ذاك إنها أيقونة لوحدها و جائزة بذاتها إنها السر المكنون الذي أصبحت به مجنون. أثناء جلوسنا و نحن نشاهد الفيلم أدرك فؤاد أني أشعر بالملل فبدأ يحدثني عنها.

ـــ سليم

ـــ نعم

ـــ هل تحب سلمى ؟

أدركت لتوي أن مشاعري التي كنت أخفيها عنه قد بدت له من غير مجهود كبير . قلت له: نعم أحبها و أدعو الله أن تكون زوجتي يوما ما. قال لي: يا لسعادتك تحب فتاة و تتمنى الزواج منها في حين أني متزوج من فتاة قوادة عاهرة لا أريد منها سوى مالها يا للخسارة. طمأنته قائلا: لا تحزن يا صديقي سوف ترى كيف ستتحولان و كيف ستصبح حياتكما ملئها السعادة و سترى كيف ستصبح فدوى أو غزال امرأة صالحة تقية.

بدت على وجهه علامات عدم التصديق لكنه قال: أرجو أن يكون الأمر كما قلت.

ـــ ـــ ـــ

فور خروجنا من السينما رأينا حشدا كبيرا من الشبان يجرون و الشرطة تلحق بهم سألت أحد المارة: من هؤلاء؟ قال: تجار المخدرات. استغربت الأمر في الوهلة الأولى لكن عند رؤيتي لأحدهم عرفت أن الأمر حقيقي، كان واحدا من زبناء فدوى رأيتهما مرة يقبلان بعضهما البعض بنهم. و عندما سألت عنه عرفت أنه من أثرياء المدينة اكتسب ثروته من تجارة المخدرات لذلك لا تستغرب إذا قلت لك أن فدوى كانت غنية فزبون مثل هذا في الشهر يجعلها ثرية و أكثر من ذلك . وخزت صديقي وخزة لطيفة فانتبه بعد أن كان شاردا يشاهد المشهد و قلت له أرأيت ذلك الرجل الذميم. قال: نعم قلت: ذاك من زبائن فدوى تجعله يلتقي مع فتيات كثيرات فيغدق عليها و عليهن مالا كثيرا. قال: لا تقل لي ذلك فأنا أعرفه و أشعر دائمًا بالخزي و احتقار الذات عندما أراه معها لكن حبي الشديد للمال جعلني أطمس هذا الشعور و أقبل العيش معها فأنا ما يهمني هو مالها و لذلك تزوجتها.

— — —

نسيت أن أخبركم بعض الأمور الشخصية عني: أنا شاب عمري ستة و عشرين سنة أعمل أستاذا للعلوم الإسلامية بأحد المدارس الموجودة في البلد أحب قراءة الكتب الدينية فهي متنفسي و أحب سلمى حبا كبيرا و هذه مسألة قد علمتموها في الصحائف الأولى لكني أحب أن أقولها و أكررها حتى تصدقوا أني أحبها فعلا و ليس كلاما فارغا. كأني ألمح على وجوهكم علامات الاستغراب: لماذا لا تخطبها و تغلق علينا هذا الفم الثرثار؟ نعم سأفعل لكن المشكلة أن سلمى وحيدة في بيتها لأن والدها قد تزوج بعد وفاة زوجته امرأة أخرى من الأثرياء و يعيش هو و إياها في الغربة في بلاد الخارج لذلك لا أعرف ممن سأخطبها و كيف سأخطبها ستقولون لي لماذا لا تكلمها و تعبر لها عن مشاعرك سأقول لكم أني جد خجول و لا أعرف للمغازلة معنى. لكن سأعدكم أني في أقرب وقت سأكلمها و سأتعرف عليها.

— — —

اقترب شهر رمضان و لم يعد يفصلنا عنه سوى أيام معدودة و هذا يعني أن أب فدوى سيأتي للبلد ليلتقي بابنته و زوجها ليقضيا أيام رائعة في هذا الشهر الفضيل فدوى متشوقة لرؤية أبيها الذي لا يلزمها بشيء و الذي لا يبشرها بالنار إن هي لم تفارق الرذيلة، أب سلمى كذلك هو آت و أنا جد مسرور بهذا حيث يمكنني أن أفي بوعدي الذي قلت لكم. فعلا جاء رمضان و جاء الأبوان و جاءت معهما أزواجهما، تعرفت على أب سلمى و حدثته عن حبي لابنته و أني أريد الزواج منها فرحب كثيرا بالفكرة و قال أنه يفكر في هذا منذ زمن لكن لا يعرف مع من و قال أن هذه فرصة جميلة لكي أتعرف عليها، نادى ابنته:

_ سلمى .. سلمى ..

_ نعم ماذا هناك ؟

_ هل يمكنك أن تأتي ؟

قامت بلف حجابها و إسبال إزارها بعد أن كانا على غير ذلك في المطبخ ثم تمت آتية

جلست كما تجلس البنت المهذبة المستحيية و يبدو أنها قد سمعت ما كنا نقوله حيث رأيت على ملامحها استباق و استعجال قول أبيها لتقول له بكل وضوح نعم أنا موافقة.قررنا أن نقيم حفل الزفاف بعد انقضاء شهر رمضان لأننا في فصل الصيف و الصيف هو الفصل المناسب لإقامة مثل هذه الاحتفالات، تزوجنا و بعد عام رزقنا بمولود و سميناه محمد تيمنا باسم أعظم خلق الله محمد عليه الصلاة و السلام كان حمل سلمى لطيفا خفيفا حيث لم تشعر بأي شيء حادث على الحالة الطبيعية على عكس فدوى التي حملت كذلك في نفس العام و كان حملها شيء فظيع تقيؤات مستمرة تغذية سيئة عدم وجود حركة شيء مريع. كان محمد أكبر من وسيم بخمسة شهور مما يجعلها ولدان تقريبا في نفس السن، ما أجمل أن ترى كائنا حيا خرج من صلبك يمشي أمامك يجعلك تشعر بالراحة لأن جيناتك ستبقى بعد الوفاة أي ارتياح أعظم من هذا؟ قلت لفدوى سرا لماذا لا تتوبين و تصبحي امرأة صالحة فإن ما تفعلينه له عواقب وخيمة قالت أنها ستتوب و الآن مرت خمس سنوات على هذا القول و أثبتت بجدارة وعدها و

أصبحت من الذين قال الله فيهم "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون" حتى تأثرت بها سلمى و أنا و وسيم و محمد كذلك على صغر سنهما و أصبحنا نحن كذلك نقوم من الليل لكن دون مقارنة معها. ارتضت أن يناديها الناس باسمها الأصلي بعد أن كانت متخاصمة معه لمدة ثلاثين عاما فأصبحت تحب اسمها غزال و لم تعد تضع الماكياج كما كانت و قبحها أصبح جمالا ليس أنه تغير و لكن لأن قنوتها وضع أثره في محياها فأصبحت أجمل من سندريلا.